مجموعة قصصية

امرأة تحت الأنقاض

إيمى الأشقر

عدد 13 قصة قصيرة

أنا وحبيبى

جلست على فراشها البارد وهى تشاور نفسها مابين أن تظل فى انتظاره او تخلد الى النوم بعد أن حل عليها الإرهاق الشديد من طول انتظار حبيبها الذى تأخر كثيرا عن موعد وصوله , فقد إعتاد أن يتصل بها هاتفيا كل يوم قبل عودته الى المنزل , حاولت الاتصال به عدة مرات لكن بدون جدوى لأن هاتفه بدا مغلقا فى كل مرة, إنتابها القلق ولكنها تشبثت بالأمل لتريح قلبها انه بخير, وربما يكون هناك اى سبب طارئ , وقد يتصل بها بعد قليل وتستمع الى صوته الحنون الهادىء الذى يهدأ معه كل كيانها ويجعلها تنام بارتياح , لم يجعلها القلق تستسلم للراحه فقامت واتجهت ناحية النافذة بخطوات مرتعشة تائهه. نظرت الى السماء تدعو الله أن يكون بخير ولن يمسسه سوء واذا بالبرق يضىء السماء المظلمه وصوت الرعد يزلزل زجاج نافذتها فأغلقتها مسرعة واتجهت الى سريرها مره اخرى .. إستلقت على ظهرها , بينما ضربات قلبها ترتفع قلقا وخوفا , والحيرة تشعل النار بجسدها فى ليلتها الباردة المظلمة , وتاهت روحها بحثا عن الحبيب وظلت تفكر وتأخذها الافكار وتعود بها بلا جدوى الى أن غلبها النوم .

واذا بها تسمع صوت حبيبها ينادى عليها بأعلى صوته من بعيد ولكنها لاتراه امامها فاندفعت ناحية الصوت فى طريق مظلم يملؤه الضباب وهى تسير حافية القدمين مرتدية ملابس خفيفة .. الامطار تتساقط بغزارة على رأسها وكأنها تائهه فى طريق لا تعرفه ولم تراه من قبل , استمرت فى السير وهى تنادى بأعلى صوتها المرتجف المخنوق :

حبيبى .. أين انت ؟ .. أين انت ؟

أسرعت بخطواتها مهرولة ومازالت تسمع نداء حبيبها وصوته ينساق وراء روحها , حتى تعثرت قدميها فنظرت تحت أقدامها فاذا بحبيبها على الارض والدماء تسيل منه فأمسكت بيده والخوف جعل الدم يتجمد فى عروقها .. أخذته على صدرها وضمته بين ضلوعها المرتعشة وقد مد يديه ليتعلق بثيابها كالطفل الرضيع فنظرت فى عينيه وهى تصرخ وتقول: حبيبى ماذا حدث لك ؟؟

نظر الى عينيها وقال : حبيبتى سامحينى سوف اتركك وحدك فلا تحزنى لأننى مجبر على الرحيل.. ولكن تاكدى أنكِ حبيبتى الوحيده ولن أعشق بعدك .. سامحينى حبيبتى وعودى وحدك فلن أستطيع أن أعود معكِ .. اذهبى .. اذهبى .. واتركينى . وتذكرينى ولا تنسينى ابدا وإعلمى اننا سنلتقى فى يوم ما عندما يشاء القدر ولكن لا اعرف متى ؟

إستقظت من نومها مرتجفة والدموع تنهمر من عينيها وهى تشعر بالضيق الشديد فى أنفاسها وكأنها تحتضر وروحها تكاد أن تغادر جسدها فنهضت من السرير مسرعة وهى تشعر بالاختناق الشديد .. أمسكت بهاتفها ونظرت فيه متمنية أن تجد اى شىء من حبيبها .. ثم إتجهت ناحية باب الغرفة , ممسكة بهاتفها فى يدها اليسرى وهى تضع يدها اليمنى على عنقها والشعور بالإحتضار يراودها, وقدميها تتثاقل و لا تقوى على الوقوف عليها , والروح كما لو كانت تريد انتزاع نفسها من نفسها , واذا بجرس الباب يدق وزادت معه دقات قلبها خوفا وترقبا واتجهت ناحية الباب وفتحته .. لم تكن يدها قادره على فتحه وكانها هى الاخرى فارقت الحياة واذا بأحد اصدقاء حبيبها واقفا أمامها يبلغها رساله من حبيبها قبل أن يغادر الحياة ويرحل فى حادث سيارة , نظرت اليه وكأنها مغشى عليها واذا بتنبيه بوصول رساله على هاتفها المحمول نظرت فيها فوجدتها من حبيبها يقول فيها , حبيبتى اشتقت اليكِ كثيرا , انتظرينى , أحبك بجنون , فعادت الروح اليها وقالت : لا ..لا .. إنه بخير .. هذه رسالة منه أرسلها لى حالا..

ثم نظرت الى تاريخ الرسالة فأدركت انها كانت بتاريخ الأمس ولكنها لم تصل إلا الان !!!

إمراه تحت الانقاض

تسابقت الدموع على وجنتيها وهى تسبح فى خيالاتها .. ومـازالت تتـذكر مـا حـدث لهـا وجعلهـا تشرد فى مخيلتها كثيرا

استندت بظهرها الى الصخرة الحجرية الكبيرة التى تلامس مياه الشاطىء .. وهـو المكـان الـذى يشهد بوحها مع نفسها وراحة تطغى على كيانها عندما تأتى منفردة بحالها وتتغنى بسحر وجمال مياه البحر ...

والقت بنظرة عتاب على الصخرة ثم اطلت بوجهها ناحية مياه البحر ..

وكـأن الصـخرة اصـابتها بجمـود التفكيـر فـى بـادىء الامـر عنـدما وافقـت علـى خطيبهـا بـدون الاستماع لآراء الغيـر مـن اخوتهـا بـأنه شـاب لايمكـن الاعتمـاد عليـه وغيـر قـادر علـى تحمـل المسئولية .. ولكن الدموع لن تجدى الان ..

فقد قررت ان تطلب منه الطلاق بعدما تركها معلقه بين السماء والارض بعد عقـد القـران لمـدة تجاوزت الثلاث سنوات والتى خلالها سقط فيها قناع الشاب واكتشفت انـه مـن اصـحاب الـرأس الخاويه من العقل وضعف الشخصيه, والتابعيه الفكريه وعـدم القـدرة علـى اتخـاذ القـرار , فهـو مجرد ببغاء يكرر ما تلقنه له امه و اخوته البنات , واداه لتنفيذ اوامر وتعليمات والده فقط !!

حاولت بكل طاقتها ان تصلح من شأنه و تعلمه كيف يكون رجل بمعنى الكلمه و لكنه لا يريد ان يكون رجل يتحمل المسؤليه و اكتفى بدور الاداه المتحركه التى تعمـل علـى تنفيـذ الاوامـر الـتى تتلقاها فقط , فلقد كان فى يد اسرته مثل العرائس الخشبيه التى يحركونها باطراف اصابعهم مـن خلال خيوط رفيعه لا يراها احد سواهم !!

فى خلال هذه الفتره اكتشفت فيه اسوأ صـفات خلقتهـا الـبيئه والتنشـئه الاجتمـاعيه الغيـر سـوية والـتى ابعـد مـاتكون عـن الرقـى الاخلاقـى , بمـا يحملـه مـن امـراض وعقـد نفسـيه وسـلوكيات همجيه , وهذا ماجعلها تشعر بخيبة امل فى الشـاب الـذى اعجبـت بـه لدرجـة انهـا وافقـت عليـه كشريك لحياتها و مستقبلها !! , ولكنها تحملتـه ثلاث سـنوات برغـم أن الاتفـاق علـى ان الـزواج كان فى خلال شهور قليله , مما يعنى الاخلال بوعده هو وأسرته بمنتهى اللامبالاة !!!

لقد شعرت بخيبة الأمل عندما تهاوت الصورة التى رسمتها له منـذ البدايـة وكـأنه صـرح عظيـم من حيث المضمون والنشأة والتعليم , ولكنه انهار وتحطم تدريجيا حتى تلاشى وصار ترابا بيـن أنقاض متساقطة من الواقع المرير ..

وبرغم أن الطلاق تحقق وتخلصت من عبء ثقيل كان يقبع على انفاسها بعيوبه الكـثيرة الا أنهـا شعرت بالندم بسبب تلك التجربة التى ظلت نقطة قاتمة فى حياتها .

واصبحت ترى نفسها والامل فى الحياه السعيده باتت أيضا تحت تلك الانقاض !!

وقد شعرت بذلك أيضا بعد انفصالها عنه .. وعندما تقدم لخطبتها رجل مناسب مـن وجهـة نظـر المجتمع و مقاييسه الا انه لم يكن يعلم انهـا تحمـل لقـب مطلقـه ,وحينمـا علـم تراجـع عـن فكـرة

الارتباط بها معللا انه ليس من المعقول ان يرتبط بمطلقة وهو على مشارف بداية الحياة الزوجية .

استدارت للخلف تتمعن النظر بالصخرة الحجرية .. ثم التقطت انفاسها بصعوبة ومالت ناحيتها ..ثم جلست بهدوء وكأنها تبوح لها ما بداخلها :

لأنها كانت تشعر من بعض الفتيات حولها بأحقادهن وغيرتهن نحوها .. وقد يكون بسبب تميزها عنهن فى الشكل والمضمون , مما جعل سيرتها لكونها مطلقة كلقمة سائغة بينهن ..

ولكنها الان تشعر بلحظة حاسمة تجلب لارادتها صلابة وحيوية .. مثلما الحال لهذه الصخرة الصلبة بشموخها وقوتها امام رزاذ المياه , وموجاته العالية احيانا اخرى ..

فلن تكون ضعيفة بسبب هذا القلب الذى وصلت اليه بدون قصدها .. مطلقة ..

لا .. والف لا ... لن تكون ضحية له .. لأن هناك من يعرفون أن الظروف قد تستدعى اختياره أفضل من الوقوع بين براثن زوج ضعيف الشخصية وعديم المسئولية .. وغير ذلك ..

انه الوعى الذى يجب أن يكون سائدا .. لأنه ليست كل الاحوال واحدة ومتشابهة .. بل ان الموقف يعبر عن نفسه .. وحسب الظروف المحيطة التى تستدعى ذلك .. لأنه ليس من السهل

اختياره .. الا بعد تفكير عميق

وقفت مستندة بيدها اليمنى الى الصخرة الحجرية .. نظرت اليها بحزم وثقة .. ثم ابتعدت عنها .. ثم تركت العنان لقدميها تخطو خطواتها مبتعدة عن حجرية الصخرة وجمود التفكير أملا فى حياة أفضل.. فى مجتمع يسوده الوعى والرقى ..

ارجوك ... اجب على سؤالى ؟

امتطيت جواد العشـق بعـد ان طـرق بـاب وجـدانها الوحيـد المحـروم مـن الحب و الحنان فأخذها من عزلتها بهمساته الحانية و كلماته الرقيقه العذبه و نظراتة التى تفيض بالحب والهيام , اخذها واغرقها فى بحر من الاهتمـام والغرام , فانجذبت له واقتربت منه وغرقت فى بحره باحثه عن ماحرمتهـا منه الايام , فلقد حرمها القـدر مـن حنـان الاب واهتمـام الاخ , فكـان الاب همجى الطباع يرى ان القسوة المفرضة انسب طـرق الـتربيه والاخـوه لا يختلفون كثيرا عن والدهم بل هم على نفس شاكلته !! , سبحت فى بحره باليدين وغاصت وتعمقت فى حبه حتى بات الهواء الذى تستنشقه , الـروح التى تحيا بها , وفى بعده تشعر انها تـائهه ضـائعه فلقـد بـات منبـع الامـان والحنان لقلبها و عنوان كل ايامها ....

ظلت سابحه فى بحر العشق حالمه باليوم الذى يجمعهما معا تحت سقف واحد, حتى اشتدت الامواج وتلاطمت وحملتها الى البر لتقف امام الحقيقه ...

وحينها وجدت العاشق اصـبح شخصـا اخـر !! و بـدأ ينسـحب مـن عالمهـا بالتدريج متجاهلا مشـاعرها واحاسيسـها متنكـرا لكـل تصـرفاته و لكـل مـا جعلها تحبـه بـل تعشـقه !! واختفـى مـن عالمهـا بلا سـلام او جـواب علـى التسؤلات الذى حاصرتها حتى كادت ان تصل بها الى حد الجنـون .. لمـاذا اقتحم حياتى ؟؟ و لماذا جعلنى اهواه ؟؟ ..

و فى يوم وهى فى العمل الذى كان يجمعهما كزملاء رأته امام عيناها .. و لكن هذه المره لم يكن وحده فى انتظارها كمـا تعـودت لكـن معـه زوجتـه يدها فى يده و قد كان سافر خارج البلاد من اجل العمل و تزوجها هنـاك .. و كان اللقاء لقاء الغرباء و شعرت انها تقف امـام شـخص لا يعرفهـا و لـم تكن يوما محبوبته و قلبها ملك يده !! عجبا منـك ايهـا الرجـل و عجبـا مـن انانيتك !! الرغبة فى الامتلاك تجرى فـى دمـك , و تعشـق ارضـاء الغـرور على حساب القلوب البريئه الطـاهره , و تهـوى اقتحـام الغمـوض ثـم تفـر هاربا !!

و دائما النهاية كما عودها القدر ..!!

وهى غارقة فى بحر الحزن والالم و امواج الندم المتلاطمة تحملها تاره الى شاطىء العذاب و تاره تلقى بها على الماضى العنيد الذى التف حول عنقها و كاد ان يفتك بها و خيبة الامل عالقه ملتصقه بثيابها و دوامة الاحباط تجذبها بكل قوتها الى قاع بحر يأسها امتدت يده نحوها من المدى

البعيد و كان اللقاء فى الفضاء بين الارض و السماء لم تتلامس الايدى و لم تتلاقى الاعين و من خلف السحب والغيوم الكثيفه تلاقت الارواح و تعارفت و اقتربت بقوه و امسكت بيديها الصغيرتين يده الكبيره الحنونه عشما ان تجد بها الحب و العطاء , منحها الحب و حاصرها بخوفه عليها و حرصه الشديد على قلبها و وعدها بكل مايسعدها , و بعد ان كان الجفاف يحيا و يسود جوفها اسقها حتى ارتوت و فاض عليها بالحنان كالشلال و انساب عطاءه الى وجدانها فاورقت و تفتحت زهور كيانها فغرقت فى بحر حبه و بات منبع الامان و الحنان فعاشت فى قلبه تحيا بروحه و حبه هو نبض قلبها و بات الدم يجرى فى وريدها بعد ان كاد الياس يحطم حياتها و كانت رغبتة فى فك رموزها و ازاحة الستار عن الماضى ترافقه مع كل لمسه حنونه من قلبه , كان كوكبا يدور حولها ليل نهار راغباً فى ازاحة الستار !! و لانها عشقته حقا فتحت قلبها له و تحدثت صدقا و سقطت سدائل الليل السوداء من امام عيناه و انكشفت الغيوم و لم تعد مبهمه بالنسبة له و لم يعد شخصها رمزا لاسرار كيان غامض , فرحل الليل و اشرقت الشمس لتعلن نهاية قصة الامس و بداية يوم جديد تحيا فيه وحيده كما كانت فى الماضى قبل اللقاء و لم يكن يوما جديد على وجدانها فلقد عاشت مثل هذا اليوم مرات و مرات عده فالقصه لم تكن احداثها بجديده بل هى نفس الاحداث التى اعتادت عليها و بنفس النهايه , الوداع و الفراق هما الواقع المحتوم طالما ان اللقاء كان خلف الغيوم

والتقط الزمان صوره لها و هى تائهه باحثه عن ضالتها و الصقها على جدار عمرها لترافقها عند عودتها الى بحر العذاب من جديد , و ان اختلفت البدايات دائما النهاية كما عودها القدر .

لم تكن تعلم ما يخفية القدر

وهى سائره على طريق الحياة و يملؤها الامل و ترى امام عينيها غدا

بازهاره الوردية و سمائه الصافية و طريقه الذى رسمته طموحاتها الجاده

الذى نهايتة النجاح و التالق فكم كانت مجتهدة صبوره لا تعرف معنى اليأس

و لا اليأس يعرف اليها طريق , و لكن فى يوم من الايام و بخطة مرسومة مسبقا ممن تكرهها و يملؤها الحقد و الغيرة منها سقط فوق راسها احمق يرتدى عباءة الانسان !! اقتحم عالمها القوى المستقل , فاشتعلت نار الغيرة منها بداخله و الحقد عليها .. حاولت ان تاخذة الى عالمها لتجعله حقا انسان فحاول جاهدا ان ياخذها الى عالمه المعوق , الذى فيه الانسان بلا عقل او كيان !! ثارت و اختنقت و لم تعد تقوى على تحمل هذا الجبان , فزادت عزيمته فى القهر و العذاب كالجان حينما يلتبس انسان فيجعله اما يكفر او يحرق جسده بالنيران , و بعد ان استنفذت كل طاقتها و فارقها الامل قررت البعد و التخلص من هذا الطوق الحديدى الذى التف حول عنقها و ضاق عليها حتى اختنقت و كادت ان تزهق روحها و تصعد الى خالقها لتشتكى له حالها و تطلب منه الرحمه و الخلاص .. تركته بعد ما فقدت الامل فى ان تصنع منه انسان و سقطت العباءة , و رات ما ينوى عليه هذا الشيطان المريض الذى له تاريخ ثرى فى المرض النفسى !! تركته و ابتعدت عن عالمه , و تركت له رسالة حفرتها الذكرى على جدار الزمن و ستقرئها له الايام بعد فوات الاوان ..

كُتب علينا الفراق و لكنى نادمة لاننى تاخرت كثيرا فى اتخاذ القرار , و الندم سيكون عنوان ايامك ليس الان و لكن حينما تنظر بين يديك و ترى نصفك الاخر فسوف يكون مثلك و هذا افضل انتقام .

للحقيقة .. وجه اخر

شعرت باختناق شديد وانتابتها رغبة قوية فى الفرار من عالمها التى تحيا فيه وسط الكذب والغش والخداع , تحيا فيه مع اشخاص ذو وجهين , وجه مرسوم عليه ابتسامه رقيقة حنونة وملامح تملؤها التعاطف والشفقة عليها وعلى سوء حالها , ووجه آخر يكمن بالداخل لا تراه بعينيها ولكن تراه بروحها السامية الشفافة ..انه الوجه المجرد من الاحساس الذى لا يشعر بها ولا يقدر معاناتها وربما يكون مبتسما ضاحكا شماتة فيها . سيطر عليها الملل القاتل , ولا تعرف كيف تفر هاربة بعيدا عن تلك المخلوقات عجيبة التكوين التى زرعها القدر فى ربوعها .. أخذت تتحدث مع نفسها والحيرة شاركتها الحوار قائله :

- رغم أننى محبة وتملؤنى العاطفة الصادقة ومع ذلك لا يرون مميزاتى ..او ربما يرونها ولايعترفون بها .. بينما الحب والتعاطف بداخلهم لاخرين لا يستحقون وليست لى .

همست الحيرة فى أذنيها.. ربما يكونوا صم , بكم , عمى عنكِ دون الاخرين ..

فرد عليها العقل قائلا : - انهم لايشعرون بك ولايتعاطفون معك .. فقد يكون احساسا منهم بالنقص.. بل يتعاطفون مع آخرين بنفس طباعهم وحقدهم . اشتد عليها الشعور بالاختناق وشعرت بألم شديد فى رأسها وكأنها على وشك الانفجار وزادت رغبتها الشديدة فى الفرار من نفسها التى أثقلت عليها فى الحوار , وضيقها من هذا المكان الذى تشعر انه قبرا وليس مكان به حياة طبيعية , أمسكت عنقها بيدها اليمنى وهى تشعر بإختناق شديد وكأن روحها على وشك مفارقتها وأخذت تضرب الحائط بكل قوتها بيدها اليسرى وكأنها تريد اختراق ذلك الحائط لتتنفس هواء جديدا او ترى شيئا اخر سوى غرفتها الضيقه المظلمة , لم تجد مفر من تلك الحاله القاسية التى تملكتها وسيطرت على كل كيانها سوى آلاتها الموسيقية التى تحبها وتحب العزف عليها فى وحدتها الدائمة ولياليها المظلمة الباردة , فجلست على الارض وجلست بجوارها روحها الجميلة الرقيقة التى إختنقت موتا ودفنت فى طيات ذاتها من أفعال البشر ووضعت رأسها على كتفيها مرهقة الملامح ,متعبة هزيلة القوام كما لوكانت فارقتها حيويتها وشبابها, لتستمع الى مقطوعتها الموسيقية وتؤنس وحدتها , إحتضنت آلاتها الموسيقية بين ذراعيها وكأنها تريد أن تشكو اليها من ظلم البشر وغبائهم وسفاهة تكوينهم وسوء تقديرهم لكيانها الراقى ومازالت الحيره ترافقها ولا تريد فراقها , لمست بأطراف اصابعها الرقيقة التى أوهنها الظلم اوتار الالة الموسيقية وهى تنظر اليها وكأنها ترى على كل وتر سنة من سنوات عمرها باحداثها وبكل لحظاتها . وأخذت تعزف على أوتارها لحن عالمها الحزين فعزفت مقطوعة منفردة من الشجن والألم والدموع حبيسة فى عيونها التى ذهبت شريدة حائرة يملؤها القهر مع نغمات ليست كأى نغمات.. انها نغمات عزفتها أصابع سجينة خلف جدارن ذاتها التى تحيا مع وجه آخر للحقيقة, لاتراها عينيها ولا يراها البشر برفقة الحيرة والضجر. ظلت تعزف حتى غلبها النوم واستكملت باقى لحنها فى أحلامها المتقطعة المملؤة بصور مشوهة وبأصوات خافتة وأحداث غريبة متداخلة ولكنها مُريبة شوشة وروحها لاتزال بجوارها متمنية عندما تستيقظ من نومها أن تجد وجها اخر للحقيقة .

كيف يكون الفرار؟؟

مازالت تراها امام عينيها الطفله الصغيرة رقيقة الملامح و الطباع الراقيه فى جوهرها و اسولبها , عذبة الصوت , المختلفه فى تركبيتها الظاهر منها و الباطن عن كل افراد عائلتها و كانها تنتمى لعائله اخرى !!

و رغم برائتها الا ان عيناها يسكنهما حزنا كبيرا و كانها عيون امراه كبيره اكل الدهر عليها و شرب !! فلقد حرمها القدر من الاب .. لم يكن متوفياً بل كان على قيد الحياه لكن الانانيه كانت متجسده فى شخصه و الهمجيه و العدوانيه هما منبع اخلاقه و الام كانت مثال للسلبيه و ضعف الشخصيه و بينها و بين التخلص من سلبيتها بحور يليها سدود !!

لقد زرعها القدر فى اسره تحيا بقانون الغابه و منطقها , فكان الكبير يفرض سطوتة على الاصغر منه و الصغير يظل تحت مظلة الخوف و الضعف حتى يصبح كبير فيمارس نفس الاساليب العدوانيه التى كونت الاركان الاساسيه لعقله فى الماضى مع الاصغر منه و هكذا ..!

وفهى بينهم تائهه التعجب يحيا بداخلها و يسود ! عندما تنزل الى الشارع كان الجيران يمزحون معها قائلين .. انتِ لستِ ابنة هؤلاء بل ابنة اخرين .. لكن هذا الحديث لم يمر على اذنيها فحسب بل انساب الى وجدانها بقوه و كانها غارقه امسكت فى يدها القشه التى ربما تنقذها ؟! و سكن بها و بات الحلم الذى تمنت بكل كيانها ان تراه على ارض الواقع يوما ما و مرت السنوات و هى تحلق فى سماء الانتظار و النفور و الاشمئزاز و الرغبه فى الفرار تعلو و تعلو حتى باتت جبال شاهقة الارتفاع تعلو فوق قلبها الذى احرقته نار الظلم و العدوانيه !!

و لكن الحلم انساب من بين اصابعها كحبات الرمال فلقد ايقنت حينما انتُزعت منها طفولتها و اصبحت اكثر نضوجا ان حديث الجيران كان مجرد مُزاح لا اصل له الا انهم حقا يرون انها تختلف عنهم !!

و لكنها لم تقتل الامل بداخلها بل باتت تحيا فى انتظار فارس الاحلام الذى ياتى و ينتشلها من هذا العالم الى عالمه الذى تجد فيه روحها التائهه و تحيا بالحب فى قلبه , و لكن خيبة الامل هى نهاية كل امل شيدته على كل رجل اقتحم حياتها بهدف فك رموزها و إزاحة الستار عن ما بداخلها و ليضع يده على سبب الحزن الذى يملأ عيناها و لغة الصمت التى تحيا بها ,وحينما يصل الى هدفه يرحل عنها !! تاركها غارقه فى بحر بلا شطأن من الياس و الاحباط , و مرت السنوات و رحلت عنها اجمل سنوات الشباب سنه تلو الاخرى وهى فى انتظار القلب الكبير الذى يحتضنها و العقل المستنير الراقى الذى يحتويها وبعد ان اختبئت اجمل سنوات عمرها فى طيات الزمن , الغيوم حجبت ضوء القمر , و طال الليل , و تلاشت شمس الامل فى الافق و مازالت تتسأل .. كيف يكون الفرار ؟؟؟؟ .

قصة قديمة جدا و النهايه بعد قليل

عندما سيق اليه نبأ طلاقها فَرح فرحا شديدا و استعد بكل ما لديه من امكانيات و جمع اهله من اجل الذهاب اليها رغبةً فى الزواج منها فهى الحلم القديم الذى كان طوال حياته يتمنى هو و اهله تحقيقه , و لانها حلم سعى اليه الكثير و الكثير من الرجال فهى ست الحسن و الجمال صاحبة الاصل الكريم العريق , منحها الله الكثير من الخير و النعم و وهبها العديد و العديد من المميزات التى لا تتمتع بها انثى سواها , لذلك كان الزواج منها اقرب بالحرب و البقاء للاقوى , فلقد فاز بها طليقها و لكنه لم يحسن معاملتها و لم يتقى الله فيما تملكه من خيرات و اموال فلقد سلب منها اموالها من اجل ان يعلو بشأنه و يصنع لنفسه فقط مستقبل يضمن له البقاء فى النعيم و عدم العوده الى الفقر و الحرمان من جديد , و عندما فاض الكيل باهلها قرروا تطليقها منه لانه لا يستحقها ..

انتهز فرصة طلاقها و دخل اليها و الى اهلها من نقطة ضعفهم الا و هى انها لابد ان تستقر و لا تظل هكذا بلا رجل يعمل على حمايتها و ادارة ممتلكاتها و افضل الرجال هو , فهو صاحب الاخلاق و المبادىء !!.. فوافق اهلها عليه رغم تقدم رجال اخرين للزواج منها فى نفس الوقت الا انهم اعتقدوا انه هو الاصلح لابنتهم الحسناء لانه صاحب الدين و الاخلاق !!! ظنوا ان هذا هو من سيحاقظ على اموالها و لن يسىء معاملتها و لن يستغل خيراتها و ممتلكاتها مثلما فعل طليقها ...

و لكن بعدما باتت ملك يده فعل ما فعله طليقها بلا استحياء او خجل !!, اخذ اموالها و اعطاها لاهله الفقراء حتى يعيشوا حياه ناعمه و تكون بعيده عن الفقر و الشقاء , استغل اموالها من اجل رد الجميل لاهله و عشيرته فهم من وقفوا بجواره و اقنعوا اهلها بشتى الطرق بالمواقفه على قبوله زوج لابنتهم , ..و لكنها لم تتذوق معه شهر العسل و لم تجد معه الراحه و الاستقرار كما تخيلت و تمنت و يالها من سيئة الحظ !!!

عفوا سيدتى الجميله فان حسنكِ و جمالكِ و اموالكِ جعلكِ رغبه تحيا فى نفوس تهوى التملك و السيطره و حب الذات ليس حبا فى شخصك بل عشقا فى حب التملك فقط !!

و هكذا هو ابن ادم .. يسعى للامتلاك و الانفراد حتى لو كان لا يستحق امتلاك هذا الشىء و بدلا من ان يحمد ربه ان اعطاه ما تمنى , لا يحسن المعامله ولا يتقى الله !

اذا لم يكن لديك العلبه القطيفه التى تضع فيها الجوهره الثمينه فلا تسعى لامتلاكها .

كـــأس الموت

قررت الا تروى كيانها المتعطش للحقيقة من ماء الكأس الذى ارتوى منه كل من حولها بمنتهى اللامبالاه والسلبية فاصبحوا مجرد شىء واحد فى عدة نُسخ

تختلف فى مظهرها فقط , ولكنها تحمل بداخلها نفس ماء الكأس الذى ارتوى منه الآخرين حولها , فقد تجرعوا منه استسلاما وضعفا امام صاحب الكأس الذى بقوته وجبروته أجبرهم على الشرب منه مانعا اياهم الارتواء من كأس اخر يليق بهم اكثر ويجعلهم اكثر سعاده وارتياح , وقفوا جميعا امامها ونظرة الغيظ تملأ اعينهم والحدة تسيطر على الفاظهم والغيرة تجسدت بأسوأ ملامح لها فى وجوههم والرغبة فى تحطيمها , وقفت تتراقص كرها على اطراف السنتهم الحادة التى يحركها الإحساس بالنقص من ناحيتها , اقتربوا منها جميعا فى محاولة لإرهابها وفى يدهم الكأس ..

ظلت ثابتة فى موضع قدميها , فاقتربوا مرة ثانية بقسوة اكثر , وظلت صامدة اكثر ولم تهتز خوفا منهم , ثم قالت لهم بقوه وثقة عالية بنفسها وعينيها على الكأس تنظر اليه بنظرة فاحصة ..

ماذا تريدون منى ؟ ..قالوا : نريد ان نسقيكِ من نفس الكأس الذى شربنا منه جميعا واصبحنا كيانا واحد فى أجسام مختلفة ,

ردت قائلة : لا لن اشرب من هذا الكأس ولن اروى جسدى بمائه , ولكن لماذا تريدون أن اشرب منه ؟

نظروا نحوها نظرة سيطر عليها الحقد وقالوا : نريدك مثلنا لا نقوى على رؤيتك أمامنا وانتِ تختلفى عنا جميعا ,

قالت : ولماذا تريدوننى مثلكم .. إننى أفضل حالا بدون كأسكم هذا .. وهو مايبدو فى نظراتكم نحوى .. أهناك شيئا آخر غير ذلك ؟

قالوا : نريدك ان تشربى من كأسنا لتكونى مثلنا فقط .

نظرت اليهم نظرة يملأها العجب والدهشة وقالت لهم : لما لا تكونوا انتم مثلى ؟ .. هل أنتم احياء ؟

بادلوها نفس نظرة العجب والدهشه ردا على سؤالها الغريب وقالوا والدهشه تتجلى واضحة عليهم : انه من المستحيل ان نكون مثلك لاننا شربنا جميعا من نفس الكأس وتعودنا على مذاقه ولكن عليكِ انتِ ان تشربى منه حتى تصبحى مثلنا وهذا هو الاسهل والافضل لنا لانكِ انتِ التى تختلفين عنا وليس نحن !

نظرت اليهم نظرة عميقة اقتحمت كيانهم العقيم الذى يستتر خلف اجسادهم واستدارت بكل قوة وتحدى ورفعت رأسها لاعلى بعناد وقالت .. ان الكأس الذى ارتويتم منه جميعا هو كأس الموت .. فكيف تعتبرون انفسكم أحياء وانتم تتحدثون وتفكرون وتعيشون حياتكم وتخططون لمستقبلكم بعقل وفلسفة صاحب الكأس , انتم مجرد اجسام متحركة , يحركها صاحب الكأس باطراف اصابعه لكن لا تعدون من ضمن الاحياء .. فلن أشرب من كأس الموت هذا لاكون من الاحياء بجسدى وعقلى وليس بجسدى فقط .. لن اشرب من كأس الموت . . لن اشرب من كأس الموت .

م عاشقة خلف جدار الزمن

وقفت تنظر الى صورتها المُعلقة على حائط غرفتها ذات الجدران العتيقة الباهتة فى بروازها الذهبى الذى تلاشى لونه وبريقه مع مرور الزمن , والحزن يرتسم على عينيها التى ضاقت نظرتها من ثقل التجاعيد حولها والإشتياق يملأها لجمال أنثى تراها فى صورتها ولكنه تلاشى مع الأيام وسرقه منها الزمن , اختفت الدموع بين جفونها من بريق الامل الذى بدا يلوح فى عيون صورتها ولم يعد له مكانا فى قلبها , فلقد تلاشى مع رحيل الشباب واختفى فى طيات القدر , ظلت تنظر الى صورتها بكل تفاصيلها وتلمس بأطراف أصابعها المرتعشة شعرها الذى اشتعل شيبا وزال لونه الذهبى وماتت حيويته وضعف حاله , ثم استدارت وأعطت ظهرها لصورتها واتجهت ناحية المرآه بخطوات ضعيفه بائسه وكأن كل السنوات التى مرت عليها عالقه بأطراف ثوبها فأثقلت خطواتها , نظرت فيها وأخذت تتأمل حقيقتها والدهشة والحسرة تملأ عينيها وزادت من حدة تقاسيم وجهها وأخذت تتحسس ملامح وجهها تتحدث مع نفسها بداخل أعماقها قائله , سرق الزمن عمرى وشبابى وانا فى انتظار الحب الصادق والحبيب الذى أحيا بين ذراعيه واجد معه الأمان والحنان فى حضن عينيه واعيش فى حضن قلبه بشبابى واجمل أيامى , وهاهو العمر انقضى والشباب مضى ومات الأمل فلم يتبق منه شيئا ولم تترك تجاعيد وجهى له متسعا , اشتعل رأسى شيبا وضعف بصرى وانحنى ظهرى ولم يتبق من إمرأه جميلة ممشوقة القوام يملأها الأمل فى الحياه والحب والرغبة فى العطاء للمحب الا صورة على جدار حائط بهتت الوانه وضعف بنيانه ولملمت الشمس خيوطها بعيدا عن أركانه , لم يتبق سوى انقاض احيا على ذكراها بين كومة من الأمال والذكريات , انتهى العمر وانتهى معه الامل فمن يعشق امرأه رحل شبابها ؟؟ ومن يفكر بالقرب والعيش بدربها عشقا لكيانها ؟؟ واخذت تحتضن نفسها بكل قوتها واليأس يزلزل كيانها والدموع انهمرت من عينيها حزناً من قدر سلب سنوات عمرها سنه تلو الاخرى بدون ارادتها ورغما عن ذاتها وقبض بيده العنيده كل خيوط الامل وحجب عنها ضوء الشمس لتحيا طيلة عمرها فى الظلام بين أركان وجدان حالم عاشق , وصرخت صرخه زلزلت اركانها واهتزت معها كل أركان وجدانها وهى تبكى وتقول أأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأأاه منك يا زمن سرقتنى وسرقت حلو الايام ولم تترك لى فرحه بلحظة حب أتذكرها فى وحدتى لتهون على قلبى مُر تلك الايام , أأأأأه منك يا زمن حرمتنى أن أعيش مع إنسان نتبادل معا الحب والعشق وأخذت عمرى ولم يتبق منى سوى صورة لعاشقه خلف جدار الزمن !!

ى الاشـــــقر

سارة .. ارجو ان تسامحينى !!

جلست بجواره وهو يحتضر لينهى سلسلة ايام حياتة التى عاشها وشاركته اياها

نظر فى عينيها والخوف والرعب من شىء فى نفسه يملأ عيناه و الدموع تنهمر منها و كأنه يرى شىء لا احد سواه يراه !! وبيده التى تكاد تكون فارقت الحياة تعلق بثيابها وبصوت مرتعش قال لها .. لا تتركينى , ارجوكِ سامحينى .. فصمتت طويلا وشردت بعيدا وتلعثم لسانها رافضا النطق بكلمة السماح ..

ظل ممسكا بثيابها مرددا .. لاتتركينى .. لا تتركينى وكأنه يريد ان ياخذها معه الى العالم الاخر حتى لا يذهب وحيدا ! اما هى فلقد تركته بوجدانها الحزين المقهور وابحرت فى بحر الذل والعذاب والقهر الذى غرقت به منذ ان تزوجته وباتت ملك يده , وقد كان تزوجها رغما عنها وبعد ممارسة الضغوط على اهلها وخوفا منه ومن جبروته لم يكن امامهم سوى الموافقه على الزواج منه و كان يكبرها باكثر من ثلاثين عام , نظرت فى عيناه فرات الذل متجسدا فيهما وهما من كانوا نظرتهم اليها تملأها رعبا و خوفا , لمست بحذر وترقب شديد يداه التى اصبحت ضعيفه لا تقوى على التعلق بثيابها و كأنها تريد ان تسألها .. هل انتِ اليد التى كانت بقوتها تجعلنى انزف دما ؟ التى لطمتنى على وجهى مرارا و تكرارا ؟ التى دفعتنى لاسقط ارضا و امسح تراب الارض بوجهى ؟..

ظلت جالسه بجواره تنظر اليه و تنصت الى حديثه و لكنها لا تراه امامها بل ترى شريط سينمائى لمجموعه من المشاهد المتتاليه التى تمر امام عينيها سريعة متتالية للوحش المجرد من الانسانيه الذى اخذها وهى لاتزال صغيرة بريئه و مزق برائتها و حطم قلبها و اسقاها ذل و مرار فى كل يوم من ايام حياتها حتى ظنت ان هذا الذل ليس له نهايه وستظل هكذا حتى تموت قهرا , و لكن جاء اليوم الذى ينتهى فيه هذا المخلوق

المتوحش الذى يهوى التملك بعد ان اصابه مرض لا شفاء منه لترحل ايامه و يتلاشى جبروته و كأنه لم يكن له وجود , و لكن ستظل الذكرى محفوره بعمق فى اعماق وجدانها و لن يموت الماضى فى قلبها , ثم رمقته بنظرة باردة مستقرة وعيناها تكاد تكون نصف مفتوحة وكأن فوقها ثقل يجعلها غير قادرة على ان تفتح عيناها بكل قوتها وقالت له دون ان تنطق اى كلمة .. لا لا لن اسامحك فهل يجوز ان يتوب العاصى فى لحظة الاحتضار خوفا من الموت اهذه تكون توبه صادقة ام لحظة ضعف وخوف واستسلام لشىء اقوى واكثر جبروتا وليس منه مفر ؟!

عجبا منك يا ابن ادم تتكبر و تتجبر و تبطش بجبروت و كأن قدرتك ليس فوقها قدره و كأنك لن تعود الى ربك ليحاسبك !! و عندما تأتى نهايتك و ترى بعيناك بداية رحلة رحيلك عن الدنيا لترحل وحيدا تطلب العفو و السماح , الم تكن تعلم ان كل شىء الى زوال ؟؟

خلف النافذة المغلقة

طعنت نفسها بالسكين رغبة فى الانتحار بعد ان ضاقت عليها الجدران الاربع التى تحيا بينهم , بعد ان وصل بها اليأس و الاحباط الى الذروه و مات الامل امام عينيها اكثر من مره , و اصبحت تحيا مع جثة الامل الهامدة فى غرفة مغلقة ضيقة النافذة الوحيدة الموجودة بها مغلقة لا تقوى على فتحها لانها لا تعرف كيف تحصل عليه؟ !! و كلما ظنت ان هناك نسمة هواء اتية ربما تفتح لها تلك النافذة لتتنفس و تبث بها الروح من جديد ذهبت نسمة الهواء فى اتجاة اخر مع الرياح التى دائما تحمل لها سوء الحظ , و شعرت و كأن القدر لا يخبىء لها الا كل ما هو سىء على مدار حياتها , شعرت و كأن القدر الصق بها كل ماهو لا يليق بها و لا يناسبها , كل ماهو يقلل من كرامتها و يهدر كبريائها و يميت الامل بداخلها , فكم من مرة تمنت و سعت وراء تحقيق تلك الامنية بكل طاقتها و عادت خاوية اليدين و كأنها لا تستحق ان يكلل تعبها بالنجاح , كم من مرة بذلت كل طاقتها و تحملت متاعب و مشقة من اجل من تحب و يتركها و يرحل مع غيرها رغم انها صادقة و غيرها لا تعرف للصدق سبيل , لقد ابتلاها القدر بخيبة امل لاتوصف فى كل شىء فى حياتها , لذلك رات انها لا بد ان تنهى حياتها افضل من ان تظل سائرة على طريق لا ترى الا خيبة امل ولا شىء سواها فى كل خطوة تخطوها , فلقد ابتلاها القدر بوالدها الذى كانت فلسفتة فى الحياة ان الانسان ياكل و يشرب فقط و طالما انه يوفر لابنائة الطعام فهذا كافى جدا و اكثر مما يستحقوا !! و

كانهم ليسوا مثل البشر ليس من حقهم التنزة و قضاء اوقات تخفف عنهم اعباء الحياة !! , لا يحب ان ينفق نقود على اى شىء سوى الطعام فقط فلذلك لم تستطع ان تتعلم على المستوى التى كانت تتمناة , و لم تعيش طفولتها مثل الاطفال , لم تعيش شبابها فى مرحلة الزهور و التى هى اجمل مراحل العمر بسبب والدها صاحب التركيبة العقلية العجيبة , التى لا تؤمن باى شىء من حقوق الانسان و كان الانسان ماهو الا حيوان ياكل و يشرب فقط , و لكن الحيوانات فى المزارع يحرصوا على اخراجهم خارج اماكن النوم من منطلق التغير و الافضل لصحتهم !! , و كذلك كانت الام ضعيفة مغلوبة على امرها تسير على نفس دربة مغمضة العينين , عاشت تتمنى و تنتظر فارس الاحلام الذى ياتى و تعيش معه الحياة كما ترغب و كما ينبغى ان تكون , و لكنها اصيبت بخيبة الامل مع كل شخص دخل حياتها , فهى تتمنى رجل يكون لها اب , اخ , حبيب و صديق , كل شىء حرمها القدر منه و لكن كل من دخل حياتها اوهمها فى البداية انه الرجل الفريد من نوعه اكتشفت فى النهاية انه يريدها خادمة بالنهار و خارية بالليل فقط

فى البدية يكون وميض امل و ينتهى بخيبة الامل , لقد تجاوزت الاربعين من عمرها و مازالت تحيا بين جدران الغرفة المغلقة تنظر من خلف النافذة المغلقة التى لا تنفذ على اى شىء سوى اشباح ماضى مازال يرافقها و حاضر يلتف حول عنقها يكاد يزهق روحها ولا تستطيع التخلص منة , فماذا عليها ان تفعل ؟؟

فتحت عينيها وجدت نفسها فى المستشفى و الاطباء من حولها و تمكنوا من انقاذ حياتها .... فنظرت اليهم باستياء و سخرية قائلة ... حتى نافذة الانتحار اغلقتوها فى وجهى ؟!! , كنت اظنها نافذة اقفز منها للهروب الى عالم اخر .

لو كان اليأس انسان لن اقتلة و لكن كنت اعذبة حرقا و اقطع من جسدة اربا اربا و اكتم انفاسة حتى يختنق ثم ارفع يدى عنه لاشعره بالامل فى توقف العذاب ثم اعود و استأنف العذاب من جديد لن اتركة يموت بل ساظل اعذبة بالخنق و الحرق و القطع حتى يعرف معنى التصاق العذاب بالانسان و الالتفاف حول عنقة حتى يكاد تزهق روحة كيف يكون و بماذا يشعر الانسان و ساظل اعذبة اعذبة حتى اشفى غليلى و انتقم منة لكل من حطم حياتهم ياسا و اغلق فى وجههم كل النوافذ حتى ماتوا و هم احياء و اعلمة ان اصعب شىء فى الوجود هو ..ان يموت الانسان بداخل نفسة و هو مازال حى يتنفس امام الناس , و بعد ان القنة الدرس جيدا سوف اقتلة شنقا حرقا .

الرجل الذى أكل النار

وقفت تنظر فى المرآة و هى تلمس ملامحها باطراف اصابعها و الدهشه تملأ عينيها و كأنها تريد ان تتاكد ان هذه الملامح التى تراها فى المراه هى ملامحها حقا !!,

فلقد رحل عنها الجمال و امتص الحرمان جمالها و احاطت الهالات السوداء عينيها , و ذبلت بل ماتت معالم الرفاهيه التى كانت تبدو واضحه على ملامحها و تعبيرات وجهها , و شردت بعيدا و تذكرت حينما كانت

طفله صغيرة تعيش فى بيت ابيها و تحيا حياة الاميرات , و تذكرت لحظة موت ابيها و هى اخر لحظات النعيم و الرفاهيه فى حياتها هى ووالدتها و شقيقتها , فلقد انتهز العم فرصة موت اخيه و استولى على كل ممتلكاته و امواله معللا ذلك بانهم مازالو صغار و سيكون هو الحارس الامين على اموالهم حتى يبلغوا السن المناسب , و ما ان وضع يده على كل شىء بدأ يفرض سطوته بالتدريج الى ان استولى على كل الممتلكات لنفسه و لاولاده من اجل تامين مستقبلهم و حياتهم , و تركهم فى مهب الريح !! , و لان والدتها سيده طيبه عاشت حياتها فى كنف زوجها لا تعرف شىء فى حياتها سوى تربية اولادها و الخوف عليهم لم تقوى على التصدى له فقررت ان تتركه لله و هو من سيعيد لها و لاولادها حقهم المسلوب ..

و اذا بصوت جرس الباب يعود بها من الماضى الذى ذهبت اليه بلا وعى الى الواقع المرير , انتبهت و اتجهت الى الباب و اذا بابن العم يخبرها بان والده فى المستشفى يحتضر و يريد ان يراها هى و والدتها و شقيقتها ليطلب منهم السماح !!!

و ما ان وصلوا الى الغرفه التى يرقد بها فرات زوجة ابنه الكبير خارجه من الغرفه قائله والدك مات لكن عليك ان تعلم انه سيظل هنا فى المستشفى حتى الصباح لحين دفنه لن ولن ناخذه الى البيت و اذا حدث ذلك لن اعيش معك فى هذا البيت لحظة واحده !! , و اعلم جيدا انك لن تدفع تكاليف المستشفى فليدفعها اى احد من ابنائه غيرك !!

و كان اولاده الرجال جميعهم حاضرين فى هذه اللحظه فحدث بينهم مشده كلاميه انتهت الى التعدى بالضرب و التطاول على بعضهم البعض بالايدى و بالفاظ بزيئه لان كل منهم يريد الاخر هو من يدفع تكاليف المستشفى !! ..

وقفت تنظر اليهم و هما كما الكلاب الضاله ينهشون فى بعضهم البعض من اجل النقود و ليس فى اعينهم دمعة حزن واحدة على ابيهم بل كل مايشغل بالهم هو التكاليف المادية رغم انه ترك لهم الكثير والكثير !!!!

و انتهت المشكله بحل من اسرة المستشفى انهم لديهم من سيقوم بتغسيل المتوفى و تكفينه مجانا و هذه كصدقه للفقراء و المساكين من اصحاب البر و الاحسان !!!!

احمق هو من يظن انه بالمال الحرام يصنع لنفسه حياه كريمه و يؤمن مستقبل اولاده ليضمن لهم الراحه طوال العمر , و ان عاش حياه كريمه فهكذا تكون النهايه مرد مغزى و فاضح !!, و من اخذ اموال اليتيم فانه ياكل نارا فى بطنه ان لم تحرقه فى الدنيا فستحرقه فى الاخره فلا مفر من عذاب الله .